

كتابه: مقدمة في العلاج الجمعي " من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق: الفصل الثالث: .. والأصل في الوندائيه أن تُجمَعَا "



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2020/10/04

المسبة الرابعة عشرة - العدد: 4782

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

الفصل الثالث ... : والأصل في الوندائيه أن تُجمَعَا "

وقع في يدي مؤخراً كتاب كنت قد بدأت في قراءته منذ بضع سنوات عن "التاريخ الطبيعي للذكاء" (بعنوان أصلي يقول: ما بعد المعلومات "Beyond Information" The Natural History of Intelligence

وإذا بي أكتشف أنني خطت في بعض صفحاته ما كنت أحتاجه الآن لدعم ما أقدمه في سياق مفهوم الوعي الجمعي والإدراك، والتطور، ومن ثم العلاج الجمعي والإيمان والثورة جميعاً، وخاصة من مدخل مرتبط بثقافتنا الخاصة، الكتاب من تأليف: توم ستونير Tom Stonier والحمد لله أنه مترجم بدقة فائقة بواسطة صديق رائع (2)

ما همنى تقديمه فيما يتعلق بالعلاج الجمعي هو اتساع تعريف الذكاء ليشمل الحيوان والنبات بل والجماد فلا يقتصر على الإنسان، وقد ربطت ذلك بما وصلني من خبرتي في العلاج الجمعي التي أكدت لي أن الأصل في الحياة كلها من أول تركيب الذرة حتى غاية مطلق الكون إلى وجه الله هو ما يقابل ما يسميه ستونير "التطور الدينامي لما هو المادة/الطاقة/المعلومات". (3) انتبهت وأنا أتابع الاحداث فالأحدث فيما كتب في العلاج الجمعي مع ربطه بخبرتي التي انبثقت منها هذه الكتابات المتناغمة مع ثقافتنا أساساً إلى احتمال أن تكون هذه التجمعات الإنسانية الإيجابية، وإن تولدت من ممارسة مهنية محدودة: أن تكون ضمن الإفاقة التي أحلم بها لتكوين الوعي العالمي الجديد في مواجهة الاغتراب الكمي المتماذي (النظام "العولمي" "الأمريكي" "الإسرائيلي" "الصيني" الجديد)، وفيما يلي بعض خطوط مبدئية عن هذا المنطلق الخاص:

أولاً: اتساع مدى تعريف الذكاء:

استعمل الكاتب كلمة الذكاء استعمالاً خاصاً مفيداً جداً، وإن كان مثيراً للجدل، وقد أرجعني هذا الاستعمال إلى كتاب "دانيال دينيت" "أنواع العقول" (4) "الذي أكرر الإشارة إليه كثيراً، وكيف استعمل كلمة "العقل" ليفيد بها: منظومة البرامج البيولوجية التي تحافظ على بقاء أي نوع من الأحياء من الفيروس حتى الإنسان، وهو ما يقابل ما استعمله أنا مرة باسم تشكليات "برامج البقاء"، وأخرى باسم "مستويات الوعي"، يقول ستونير في كتابه هذا ما يلي:

"تنزع القواميس إلى تعريف الذكاء بأنه "المقدرة على الفهم، والقدرة على الاستيعاب وإدراك مغزى الأفعال أو أحد التوصلات"

وندرّس نحن لطلبة الطب:

" أن الذكاء هو القدرة على استيعاب العلاقات الأساسية "

أنه استعمل كلمة "العقل" ليفيد بها: منظومة البرامج البيولوجية التي تحافظ على بقاء أي نوع من الأحياء من الفيروس حتى الإنسان، وهو ما يقابل ما استعمله أنا مرة باسم تشكليات "برامج البقاء"، وأخرى باسم "مستويات الوعي"

"تنزع القواميس إلى تعريف الذكاء بأنه "المقدرة على الفهم، والقدرة على الاستيعاب وإدراك مغزى الأفعال أو أحد التوصلات"

إن الذكاء يعتبر خاصة لنظم المعلومات، وبما أن المعلومات هي خاصة فيزيقية أساسية ...

فعلى ذلك يكون الذكاء نتاجاً لتطور نظم المعلومات

فلاحظ أن هذا أو ذاك لا يصف إلا نوعاً واحداً من العمليات العقلية المعرفية الهادفة، وأن كثيراً من العمليات التي نقوم بها، بل وتقوم بها الأحياء الأدنى، قد توصف بالذكاء دون أن تتوفر لها تحديداً هذه المواصفات السالفة الذكر، وينتهي مؤلف الكتاب إلى تعريف خاص يتفق مع تخصصه في المعلوماتية والتطور معاً فيقول:

“إن الذكاء يعتبر خاصة لنظم المعلومات، وبما أن المعلومات هي خاصة فيزيقية أساسية...، فعلى ذلك يكون الذكاء نتاجاً لتطور نظم المعلومات”

وبالتالي فإن الذكاء لا يمكن التأكد من أمره إلا بملاحظة “ديناميات النظام أو سلوكه.

ثم يقول: “..عندما تكون البيئة متغيرة يحتاج الأمر إلى الذكاء للإبقاء على سلامة النظام استجابة

للمؤثرات، والاستجابة الذكية قد ينتج عنها أحد الحالات التالية:

(1) أن يعزز النظام قدرته على البقاء.

(2) أن يعزز النظام قدرته على التكاثف.

(3) إذا كان النظام موجهاً بالأهداف فإنه يعزز من إنجاز الهدف،

وهكذا يتسع مفهوم الذكاء ليشمل كل نظام معلوماتي متسق هادف.

على هذا الأساس سمحت لنفسى أن أربط برامج البقاء بهذا التعريف الأوسع للذكاء.

كما انتبهت إلى الإشارة إلى ذكاء النبات بوجه خاص، وقد توقفت طويلاً بألم مناسب، واحترام واجب،

عند تعبير “ذكاء النبات”، ذلك أنه عندما - في الطب النفسي - حين يتدهور المريض الذهاني (الفصامي

السلبي خاصة) تدهوراً شديداً، نقول - للأسف - إنه وصل إلى “حالة نباتية”، وكنت أجد صعوبة في

شرح هذا المصطلح لتلاميذي، وأحياناً أجعل حين أصف إنساناً أنه أصبح كالنبات، وكنت أيضاً أقع في

حيرة مترددة تشعرني أنني على خطأ، حين أشرح لهم، ولنفسى، أن الذى يحافظ على الحياة، على

استمرار الحياة، أعنى الحياة الجسدية والنفسية معاً، هو وجود “معنى” أو “غاية” ما، لا تبدو سهلة التحديد

عادة في الأسوياء، فما بالك في عمق الوجود الفصامي المزمّن، وكان عندي صديق جميل ظل صديقي

عشرات السنين حتى أصبحنا هو وأنا كهليلين، رحمه الله، كان قد انسحب من كل شيء - قبل أن يستأذن -

حتى من الكلام، وفشلت معه كل محاولات العلاج، وظل صامتا لسنوات طويلة قبل أن يرحل إلى خالقه،

وكنت أسأل عنه كل فترة، ويخبروننى أنه ما زال كما هو، وأقابلته فأجده فعلاً كما هو: يذهب للمطعم في

المواعيد، ويجلس تحت شجرته المفضلة، وينظر إلى من حوله بين الحين والحين نظرات ذكية (هكذا

نصفها جميعاً)، ويعتنى بدرجة متوسطة بنظافته الشخصية، وينام ليلاً، وكنت أصفه لطلبتى بأنه أصبح

في هذه الحالة التي نسميها “نباتية”، وحين يسألونى عن ماذا يعنى التعبير، أشير إلى احتمال أنه أصبح

مثل الشجرة التي يجلس فيها ويجلس في ظلها معظم الوقت، وكنت أذهب أحياناً أتأمل هذه الشجرة، سواء كان

جالساً تحتها أم لا، وأسأل نفسى: هل هذه الشجرة لها هدف في الحياة حتى تبقى حية، وأرد على نفسى

أن: نعم، لها، و..و..ه. وأتوقف عند ذلك ولا أحاول أن أتحدى في الإجابة، وإن كان يخطر لى أن يكون

هدفها أن تظل صديقها هذا، حتى أنني خفت أن تذبل وتموت بعد رحيل صديقى هذا وقد تجاوز

السبعين.

ثانياً: ذكاء “الجماد”

سمح اتساع مفهوم الذكاء السالف الذكر أن تمتد صفة الذكاء إلى ذكاء الجماد، وكان أبسط توضيح

لذلك هو ما جاء في الكتاب ليثبت ذكاء بللورات السكر، حيث ورد بالنص:

“الجماد في صورة بلورة السكر مثلاً يبدى أيضاً قدرة على معالجة المعلومات، فعندما توضع بلورة

السكر في محلول فوق مشبع، فإنها تمد المحلول بالمعلومات التي تؤدي لبدء تفاعل يؤدي إلى تنامي

البلورة فيما يُعرف عامياً بالسكر النبات.

والمعلومات هكذا صفة فيزيقية أساسية في كل النظم الكونية، والذكاء ليس إلا نتيجة لتطور نظم

المعلومات هذه، ويمتد الذكاء - بهذا المفهوم الموسع - يمتد في طيف متصل من الظواهر تبدأ من أدنى

عندما تكون البيئة متغيرة

يحتاج الأمر إلى الذكاء للإبقاء

على سلامة النظام استجابة

للمؤثرات

يتسع مفهوم الذكاء ليشمل كل

نظام معلوماتي متسق هادف.

على هذا الأساس سمحت

لنفسى أن أربط برامج البقاء

بهذا التعريف الأوسع للذكاء

عندنا - في الطب النفسي -

حين يتدهور المريض

الذهاني (الفصامي السلبي

خاصة) تدهوراً شديداً، نقول

- للأسف - إنه وصل إلى

”حالة نباتية“

سمع اتساع مفهوم الذكاء

السالف الذكر أن تمتد صفة

الذكاء إلى ذكاء الجماد

الدرجات بظواهر ما يشبه الذكاء البدائي في الجماد، ثم ما هو أرقى من ذلك في النباتات، فالحيوانات البدائية، ثم الحيوانات الراقية، لنصل إلى أرقى الدرجات في ذكاء البشر كأفراد وكمجتمعات.

.....

ونكمل الأسبوع القادم

- [1] يحيى الرخاوى (مقدمة فى العلاج الجمعى (1) من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق) (الطبعة الأولى 1978)، (والطبعة الثانية 2019) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى، والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط.
- [2] - Tom Stonier: "Beyond Information: The Natural History of Intelligence", Publication: Springer Science & Business Media 1992 .
تأليف: توم ستونير "التاريخ الطبيعى للذكاء: ما بعد المعلومات" ترجمة د. مصطفى فهمى إبراهيم، و صدر فى سلسلة المشروع القومى للترجمة، سنة 2001
- [3] - Dynamic evolution of the / energy /power/ information
- [4]-[4] دانييل دينيت: الكتاب المترجم باسم "تطور العقول" صادر عن "المكتبة الأكاديمية" القاهرة 2003
Daniel C. Dennet 1996: Kinds of Minds Towards Understanding of Consciousness

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD041020.pdf>

*** **

مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة " شبكة العلوم النفسية العربية " قاسم حسين صالح للعام 2020

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسم:

" البروفيسور قاسم حسين صالح "

(علم النفس، العراق)

على جائزتهما للعام 2020 المنصبة للأعمال العلمية فى علوم النفس

تقديرًا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافًا لما قدمه من خدمات جليلة لعلوم النفس على المستوى العراقي و العربي و الدولي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 08 جانفي 2020 الى 30 نوفمبر 2020

شروط الترشح

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2020/APNprize2020.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsynet.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>

الذكاء ليس إلا نتيجة لتطور نظم المعلومات هذه، ويمتد الذكاء - بهذا المفهوم الموسع - يمتد فى طيفه متصل من الظواهر تبدأ من أدنى الدرجات بظواهر ما يشبه الذكاء البدائي فى الجماد، ثم ما هو أرقى من ذلك فى النباتات، فالحيوانات البدائية، ثم الحيوانات الراقية، لنصل إلى أرقى الدرجات فى ذكاء البشر كأفراد وكمجتمعات